محاور وحوار

إنعكاسات أحداث باريس على السياسة الفرنسية الداخلية وتجاه المنطقة

ردود الفعل المباشرة والعاطفية أدّت إلى تصعيد المواقف ودفعت بالإدارة الفرنسية إلى تبنّي مصطلحات الحرب على الإرهاب التي أعلنتها إدارة بوش، في خطاب لا يعكس رؤية إستراتيجية واضحة، والدخول في مواجهة مع الحريات في أوروبا.

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
The Consultative Center for Studies and Documentation

العدد الثاني عشر   كانون الثاني ٢٠١٦

إنعكاسات أحداث باريس
على السياسة الفرنسية الداخلية
وتجاه المنطقة

إنعكاسات أحداث باريس

على السياسة الفرنسية الداخلية

وتجاه المنطقة

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق

The Consultative Center For Studies and Documentation

مؤسّسة علمية متخصّصة تُعنى بحقلي الأبحاث والمعلومات

محاور وحوار: سلسلة غير دورية تتضمّن وقائع الندوات والحلقات التي يعقدها المركز وتُعنى بمقاربة قضايا استراتيجية ومسائل إنمائية مختلفة.

العنوان: إنعكاسات أحداث باريس

على السياسة الفرنسية الداخلية وتجاه المنطقة.

خلاصة حلقتي نقاش: عُقدتا في المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، الأولى بتاريخ ٣ /١٢/ ٢٠١٥ والثانية في ٢٠١٥/١٢/٩، وشارك فيهما نخبة من السياسيين والباحثين والأكاديميين والإعلاميين.

تاريخ النشر: كانون الثاني ٢٠١٦ الموافق ربيع الثاني ١٤٣٧هـ.

العدد: الثاني عشر.

الطبعة: الأولى.

القياس: ٢١/١٤.

حقوق الطبع محفوظة

العنوان: بئر حسن ـ خلف الفانتزي وورلد

جادة الأسد ـ بناية الإنماءغروب ـ الطابق الأول

هاتف: ٠١/٨٣٦٦١٠

فاكس: ٠١/٨٣٦٦١١

خليوي: ٠٣/٨٣٣٤٣٨

Baabda 10172010
Beirut-Lebanon
P.o.Box: 24/47

البريد الإلكتروني:

dirasat@dirasat.net
www.dirasat.net

الآراء الواردة في هذه السلسلة لا تُعبّر بالضرورة عن آراء المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق

ثبت المحتويات

إنعكاسات أحداث باريس على السياسة الفرنسية الداخلية وتجاه المنطقة ... ٧

د. عبدالحليم فضل الله ... ٧

محاضرة الآن غريش ... ٩

السياسة الخارجية في إطار داخلي ... ١٣

ما معنى الحرب ضدّ الإرهاب ... ١٥

لا تغيير في الموقف من سوريا ... ١٧

المداخلات

مداخلة ... ٢٣

الأستاذ الآن غريش ... ٢٤

محاضرة ريشار لابيفيير ... ٢٧

عولمة الإرهاب ... ٢٧

انتقام من فرنسا ... ٢٨

قصف «أقفاص دجاج» ... ٢٩

مشاكل لوجستية ومالية ... ٢٩

توسيع ظاهرة كره الإسلام ... ٣٠

ما وراء إسقاط الطائرة الروسية ... ٣٠

أوباما يضغط وهولاند يتراجع ... ٣١

تصعيد سعودي ٣٢
الأولية للتطوّرات الميدانية ٣٢
المداخلات
ريشار لابيفير ٣٧

إنعكاسات أحداث باريس

على السياسة الفرنسية الداخلية وتجاه المنطقة

عقد المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق في مقرّه في بيروت ندوتين حول الأحداث التي وقعت في باريس في ٢٠١٥/١١/١٣. الندوة الأولى عُقدت بتاريخ ٢٠١٥/١٢/٣ وكانت بعنوان «عمليات باريس وانعكاساتها على السياسة الفرنسية تجاه المنطقة» وحاضر فيها الباحث والصحافي المختص بشؤون الشرق الأوسط آلان غريش.

وعُقدت الندوة الثانية بتاريخ ٢٠١٥/١٢/٩ وكانت بعنوان «تداعيات عمليات ١٣ ت٢ على سياسة فرنسا الخارجية واستراتيجية حلف الأطلسي.

وشارك في مداخلاتهما عدد من الأكاديميين والباحثين المختصين.

د. عبد الحليم فضل الله

استهلّ كلتا الندوتين مدير عام المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق د. عبد الحليم فضل الله، مرحباً بالمحاضرين الضيفين، وملقياً الضوء على العناصر الأساسية التي سيتناولانها. وقدَّم لمحاضرة آلان غريش بكلمة جاء فيها:

نرحب بكم مجدداً في المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق. نجتمع هذه المرة بعد مرور أربع سنوات على آخر لقاء عام مع الأستاذ الآن غريش لنناقش موضوعاً فرنسياً يتعلّق بانعكاسات ما حدث في باريس من عمل إرهابي مُدان بكلّ المقاييس الإنسانية والأخلاقية

والسياسية، وتأثيره على السياسة الفرنسية تجاه المنطقة. قبل أربع سنوات وتحديداً في تموز ٢٠١١، التقينا للتداول في السياسات الأوروبية تجاه أحداث المنطقة. منذ ذلك الحين وحتى الآن سالت مياه كثيرة في هذا النهر الذي نقل الكثير من الضحايا ويا للأسف. الآن سوف نبحث في الموضوع الفرنسي على ضوء التحوّلات التي حصلت في العالم والتي كشف عنها الحدث السوري والتطوّرات في المنطقة.

تغيّرت أمور كثيرة لكن الثابت هو تراجع دور الغرب وتراجع دور أوروبا داخل الغرب، إذ انتقلت أوروبا من شريك في صناعة القرار الدولي إلى أداء أدوار ثانوية مثل تنظيف آثار السياسات الأميركية، ومسارح القتال الأميركية بل إنها تحوّلت في بعض الأحيان إلى مضارب اقتصادي يعتمد الابتزاز كما بدا من السياسة الفرنسية لاكتساب بعض المنافع واقتناص بعض الأرباح من الحروب التي تُشن هنا وهناك. وها هي أوروبا تبدو الآن، شأنها في ذلك شأن منطقة الشرق الأوسط، تحوّلت إلى ساحة لتبادل الضغوط والرسائل بين الأطراف المتنازعة.

ولا شك أن النظام الغربي أو النظام العالمي الذي حاول الغرب أن يقوده يعاني من أزمات كثيرة، وخصوصاً منها أزمات الاتحاد الأوروبي، الذي أظهرته الأحداث على أنه مؤسسة غير مكتملة إذ أنها لا تستطيع التكيف مع بيئة المخاطر الدولية الجديدة، بل إن الاتحاد الأوروبي يبدو في حالة ضياع الآن من دون قيادة أميركية حازمة.

هناك أسئلة كثيرة حول ما حدث في باريس، من حيث التداعيات، والانتظارات والانعكاسات علماً بأن الأمر المستغرب، على الرغم من قسوة الحدث الباريسي والعدد الكبير والمؤسف من الضحايا، هو عدم حصول تغيير جوهري في السياسات العالمية، فلم يحدث تغيير ملموس في الموقف من داعش أو الموقف من سوريا، وكانت التداعيات بعد أحداث ١١ أيلول في نيويورك أكبر من ذلك بكثير وهذه أيضاً إشارة إلى توزيع القوى العالمي الراهن.

هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة المتعلّقة بالجذور الاجتماعية والسياسة الداخلية الفرنسية تنتظر إجابات وافية من الأستاذ آلان غريش، خصوصاً أنه رافض لظاهرة كره الإسلام في الغرب المعروفة بمصطلح الإسلاموفوبيا. وكتابه الذي وقّعه في معرض بيروت العربي الدولي للكتاب، «الإسلام والجمهورية والعالم» يقوم على فكرة مركزية هي أن الغرب ليس واحداً كما أن الإسلام ليس واحداً وليس المهم ما يعتقده الناس بل المهم ما يفعلونه.

محاضرة آلان غريش

أشكر أولاً هذا المركز الذي أتاح لنا أن نتكلم ونتبادل الأفكار والآراء. أظن أننا نعيش في لحظة حساسة من تاريخ المنطقة والعلاقة بين الغرب والشرق ولا بد أن نتبادل الآراء حتى إذا كانت هناك اختلافات، وأظن أن هذا مهم إذا أردنا أن نبني مستقبلاً ليس على السلاح بل على السلام. سأتكلم عن السياسة الفرنسية والتغيرات التي طرأت على هذه السياسة منذ خمس عشرة سنة وخصوصاً إذا

ما طرأ شيء جديد بعد ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر. أظن أن هذا الحادث له تأثير كبير على سياسة فرنسا ولكن التاثير الأكبر والأسوأ هو على المجال الداخلي، أي على الحرب ضد الإرهاب داخلياً والتدابير الجديدة التي اتخذتها الحكومة والتي ستتخذها ضد الحريات والتي أظن أنها ستكون أولاً قوانين ضد المسلمين وثانياً قوانين ضد كل المعارضة وهذا بعدٌ مهم جداً حتى نفهم السياسة الفرنسية.

أولاً، هناك ملاحظتان على السياسة الفرنسية والتحولات التي حدثت منذ خمسة عشر عاماً. بعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي اعتقد الناس أنهم دخلوا تحت هيمنة أميركية وواضح أن هذا لم يحصل بل الذي حصل هو بروز قوى جديدة ودول متعددة من الهند إلى الصين إلى روسيا. وهذا معناه أن لدينا نظاماً عالمياً جديداً لا يقوم بوضوح على قطبين كما كان الوضع إبّان الحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة. الآن هناك تعددية للأقطاب وأظن أن لذلك بُعداً إيجابياً وبُعداً سلبياً في آن واحد.

وذلك أن كل قوة تكافح للدفاع عن مصالحها وحتى أولئك الداخلون في تحالفات لا يعني أن لهم نفس المصالح وسيأخذون على هذه القضية أو تلك نفس المواقف. وقد يؤدي هذا النظام إلى نوع من الفوضى.

ثانياً، التطور في الوضع الدولي معناه أن الهيمنة الغربية التي بدأت على الأقل منذ مئتين وخمسين سنة آخذة في الانحسار وبات من الصعب على الغرب أن يأخذ كل القرارات ويطبقها. على أن هذا

لا يعني أن القوة العظمى لم تعد هي الولايات المتحدة وهذا واقع لن يتغير بعد خمس سنوات لكن إمكانياتها أقل.

يجب أن نفهم التغيرات التي حصلت في السياسة الفرنسية الخارجية والداخلية في هذا الإطار العام. إن وزن أوروبا ووزن فرنسا أصبح أقل من الذي كان في الستينيات والسبعينيات، وهذه مسألة واضحة. لقد اعتقد البعض أن الاتحاد الأوروبي سيكون ذا قوة فعالة، بوصفه قوة اقتصادية كبيرة. غير أن الأميركيين لم يرغبوا أصلاً أن يكون الاتحاد الأوروبي قوة سياسية فعالة أو عسكرية كبيرة. والآن مع ٢٨ دولة، ومنها دول أوروبا الشرقية، لا إمكانية لاتخاذ قرار والقاعدة أنه يجب أن يكون هناك إجماع للدول الثماني والعشرين في أي قضية خارجية ما يعني استحالة اتخاذ أي قرار للاتحاد الأوروبي. طبعاً يمكن اتخاذ بعض القرارات العامة لكن التطبيق غير ممكن. وهذا ما نراه الآن في السياسة الخارجية وليس في السياسة الاقتصادية والاجتماعية وفي العلاقات مع المهاجرين. في هذا الإطار شعرنا أن هناك تغيراً كبيراً حصل في السياسة الفرنسية ودور فرنسا في العالم وليس فقط لأنها أضعف نسبياً مما كانت عليه في الستينيات. أظن أن التغيير المهم بدأ عام ٢٠٠٣ ونراه اليوم في التقارب مع الولايات المتحدة ومع «إسرائيل». لماذا عام ٢٠٠٣؟ لأنه في هذا العام أخذت الحكومة الفرنسية موقفاً ضد الحرب على العراق بشكل قوي وكانت وحيدة والذي تغير بعد ذلك هو موقف فرنسا. أظن أن الطبقة الحاكمة بمن فيها شيراك في ذلك الوقت اعتقدوا أن ردود فعل الأميركيين ستكون قوية ضد فرنسا وليس بمقدورها أن تدخل

في صراع مع الولايات المتحدة وبدأ السير في خطة لتحسين العلاقة مع أميركا. من جهة ثانية عيّنت الحكومة الفرنسية سفيراً في تل أبيب كان من مسؤولياته التقارب مع «إسرائيل»، التقارب الاقتصادي والسياسي، واستخدام «إسرائيل» كوسيلة لتحسين العلاقة مع الأميركيين. ولاحظنا في ذلك الوقت أن شيراك وساركوزي كانا يذهبان إلى الولايات المتحدة من أجل مقابلة اللوبي الصهيوني. لكنّ هذا جزء من الموضوع. إن الأجيال المستجدة في السلطة ليس لها تاريخ أجيال عهد ديغول التي كانت تفكر أن فرنسا يجب أن تلعب دوراً مستقلاً حتى لو كانت حليفة للولايات المتحدة وقد كانت حليفة فعلاً في الستينيات والسبعينيات لكن كان هناك صوت خاص لفرنسا في الشرق الأوسط وفي فيتنام. غير أن الجيل الجديد الذي أتى في التسعينيات يفكر أن المستقبل هو مع الولايات المتحدة ومع العولمة. وفي هذا الوقت كان المسؤولون يؤمنون أن الولايات المتحدة ستكون هي القوة الأساسية فأخذوا هذا القرار. وفي عهد ساركوزي ثم عهد هولاند حصل هذا التقارب وكان أكبر. بدأ التقارب عندما كان بوش رئيساً للولايات المتحدة. وعندما أخذ أوباما يتراجع عن سياسة بوش بعد فشل استخدام القوة في العراق وفي أفغانستان، بدأت فرنسا تأخذ مواقف متطرّفة أكثر من الولايات المتحدة على الأقل على صعيد الحوار النووي بين الدول الست وإيران. وكانت مواقف فابيوس وآلان جوبيه متطرّفة. في هذا الوقت حصل تقارب بين فرنسا و«إسرائيل»، وهذا لا يعني أن فرنسا غيّرت مواقفها المبدئية بالنسبة للقضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الأوسط، ذلك أن الموقف الفرنسي منذ السبعينيات هو تأييد إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة «إسرائيلية» وإدانة المستوطنات، وهذا لم يتغير. الآن

هناك ملفات متباينة بينهما. لقد تضرّرت فرنسا اقتصادياً وسياسياً من «إسرائيل» في الوقت الذي تصدر فيه خطابات تؤكّد على حق الفلسطينيين في إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. ولكن «إسرائيل» لا تجد مشكلة في هذا لأن الأساس هو أن هذه الخطابات ليس لها أي تطبيق على الأرض، لأنه لا يوجد أي ضغط على «إسرائيل». وقد لعبت فرنسا دوراً سياسياً واقتصادياً حتى يكون هذا التقارب بين الاتحاد الأوروبي و«إسرائيل». والآن لا يوجد دولة أخرى لها ما لـ «إسرائيل» من موقع متميّز في الاتحاد الأوروبي من حيث الإمكانيات الاقتصادية والسياسية. وهذه مسألة مهمة في التغيير. علماً بأن فرنسا لا تملك إمكانية كبيرة حتى تلعب دوراً أساسياً في القضية الفلسطينية. في السبعينيات والثمانينيات كان دورها أيضاً في الشرق الأوسط غير أساسي لكن كان هناك خطاب عن حق الفلسطينيين في تقرير المصير، باعتبار أن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني، ولعب هذا الخطاب دوراً إيديولوجياً لتغيير الموقف الأوروبي والعالمي تجاه الفلسطينيين. هذا الخطاب الآن غير موجود. الخطاب الوحيد الذي نسمعه هو تأييد «إسرائيل» بما في ذلك تأييد الحروب التي شنتها «إسرائيل» عام ٢٠٠٦ في لبنان وفي أعوام ٢٠٠٩ و٢٠١٢ و٢٠١٤ في غزّة. كل مرة كان هناك تأييد من الحكومة الفرنسية لهذه الحروب وهذه السياسة.

السياسة الخارجية في إطار داخلي

لكن يجب أن نفهم أيضاً هذه السياسة الخارجية في إطار السياسة الداخلية وتطوّر الإسلاموفوبيا في فرنسا. هناك علاقة قوية بين

الاثنين. منذ أواخر الثمانينيات بدأ خطاب في الإعلام الغربي عن الإسلام كخطر أساسي بعد نهاية الاتحاد السوفياتي وأن الإسلام سوف يكون هو العدو الجديد. وكان هناك من يكتب أننا دخلنا حرباً عالمية جديدة ضد الإسلاميين وضد الفاشية الإسلامية وضد الإرهاب الإسلامي. وبدأ هذا الخطاب يأخذ وزناً كبيراً في الرؤية إلى ما يحصل في العالم العربي وشيئاً فشيئاً أخذ الناس يفكرون أن مشكلة فلسطين ليست بين شعب تحت الاحتلال ودولة تحتل، بل هو صراع بين الغرب والشرق وأن «إسرائيل» هي جزء من الغرب.

لا أقول إن هذا خطاب كل الناس. لكن هذا ما رأيناه على الصعيد الداخلي مع الثورة الإيرانية. إن أول خطاب إسلاموفوبي بدأ مع الثورة الإيرانية وبعد ذلك بدأ مع قضية الحجاب في فرنسا التي كانت لها علاقة بالفكر العلماني عام ١٩٨٩ على خلفية فتيات محجبات في المدارس وتكلمت كل وسائل الإعلام عنه. واستمر الجدل في قضية الحجاب حتى عام ٢٠٠٤ عندما صدر قانون في البرلمان الفرنسي يمنع الحجاب في المدارس. هذا القانون فتح الباب لتطوير إسلاموفوبيا شعبية. إذا كان خطاب الحكومة يقول إن الحجاب خطر في المدرسة فهذا معناه أن أي مواطن يرى فتاة محجبة في الشارع لا بدّ أن يعتبر أنها تشكل خطراً. هذا لم يكن خطاب اليمين المتطرّف فقط بل أيضاً خطاب جزء من اليسار. وهذه القضية قسمت كل الأحزاب وكل الاتجاهات السياسية لأن العلمانية كانت تاريخياً فكرة يسارية. كان اليسار مع العلمانية واليمين ضدها لأن اليمين كانت له علاقة مع الكنيسة الكاثوليكية. الآن تغيّر هذا كله. حتى اليمين المتطرّف

بات يستخدم العلمانية كسلاح ضد المسلمين لكن يجب أن نفهم أنه حصل تغيير في مفهوم العلمانية فهي كانت تعني أن الدولة محايدة ولا تتدخل في شؤون الدين. ما معنى أن المواطنين محايدون؟ هذا معناه أن كل واحد يمكن أن يذهب للكنيسة أو للمسجد أو يقول ما يشاء على الصعيد الديني. أما الفكرة الآن فهي أن المواطن في الشارع يجب أن يكون محايداً مما أوجد مناخاً خاصاً تزايدت خلاله أعمال العنف وتطورت المنظمات مثل القاعدة أو «الدولة الإسلامية» وساعدت على نشر الاعتقاد في صفوف المواطنين بأن هناك خطراً داخلياً وخطراً عالمياً وهناك علاقة بينهما. طبعاً عندما نرى شباباً فرنسيين بكل معنى الكلمة، ولدوا في فرنسا وتعلموا فيها، يقومون بعمليات كما حصل في ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر فهذا طبعاً له تأثير سلبي على المسلمين في فرنسا. الآن ما حصل بعد «شارلي إيبدو» و١٣ تشرين الثاني/نوفمبر لعب دوراً سلبياً لأن ردود الفعل من الحكومة الفرنسية يمكن القول إنها نفس ردود فعل الحكومة الأميركية بعد ٢٠٠١. يعني أننا دخلنا الحرب ضد الإرهاب.

ما معنى الحرب ضدّ الإرهاب

ماذا أفهم من كلمة إرهاب؟ لا أعرف ما معنى الحرب ضد الإرهاب على وجه التحديد في السياسة وفي المنطقة. مثلاً حزب العمال الكردستاني التركي والسوري هو على لائحة المنظمات الإرهابية في أوروبا وأميركا. في الوقت نفسه تؤيد أميركا هذا الحزب لأسباب لا علاقة لها بالإرهاب أو الدين، لأنهم يعتقدون أن حزب العمال قد يكون حليفاً في الصراع. أعتقد أن استخدام هذه الكلمة،

أي الإرهاب، يمنعنا من أن نفكر سياسياً. الإرهاب هو الشر لكن تعلمون أكثر منا أن استخدام كلمة الإرهاب كان ضدكم. استخدمنا هذه الكلمة عشرين سنة ضدّ الفلسطينيين ونستخدمها ضد حزب الله، وضد حماس، لكن لا نتكلم عن إرهاب الدولة. أظن أن كلمة الحرب ضد الإرهاب لا معنى لها وهي خطيرة جداً لأن الإرهاب لن ينتهي. لا أعرف متى نجد العالم بدون إرهاب. كل القرارات التي نأخذها على الصعيد الداخلي هي قرارات إلى الأبد. يقال إن هذه حالة استثنائية لكن في الحقيقة ليست كذلك ولا نعرف كيف يمكن الفوز بهذه الحرب.

إذا أخذنا خمس عشرة سنة حرباً ضد الإرهاب شنتها أميركا فما هي النتيجة؟ هناك عمليات عنف أكثر من أي وقت مضى منذ خمسة عشر عاماً. هناك آلاف الشباب وحتى شباب أوروبا يذهبون إلى هذه المنظمات المتطرفة وهناك حروب في المنطقة وخصوصاً العراق وأفغانستان، أدت إلى المزيد من العنف. واضح أن قيام القاعدة في العراق كان بعد الهجوم الأميركي ولم يكن قبل ذلك. وقد أدّت السياسة الأميركية في العراق إلى تطوّر المنظمات المتطرفة. ثم إن القرارات التي اتخذتها الولايات المتحدة داخل المجتمع الأميركي هي قرارات في النهاية ليست ضد المسلمين في أميركا بل ضد حقوق الإنسان. والمؤسف أننا نرى الحكومة الفرنسية تمضي في الاتجاه نفسه لكن الفرق في الوزن الذي يميل لصالح أميركا فلا إمكانية لدى فرنسا لشن حرب في أفغانستان أو العراق أو سوريا. نقول للشعب الفرنسي نحن دخلنا الحرب ضد «منظمة الدولة الإسلامية» لكن التأثير على

الأرض قليل، إذا أرسلنا بضع طائرات فلن يتغير ميزان القوى. وهذا أمر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.

واضح أننا دخلنا مرحلة هجوم على الحريات في أوروبا. طبعاً سيكون المسلمون هم الضحية الأساسية. لقد قرّرت الحكومة الفرنسية منذ ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر فرض إقامة جبرية على نحو ٣٠٠ شخص. وللأسف لا توجد ردود فعل على ذلك باستثناء جماعة حقوق الإنسان لأنه بعد العمليات التي حصلت لأول مرة في فرنسا وجدت فكرة أنه يجب اتخاذ كل القرارات اللازمة. لكن فرنسا أقرت منذ عشر سنوات قوانين بشأن الإرهاب من دون أن يكون لها أي تاثير. قد يكون لها تأثير عندما تتخذ الحكومة هذه القرارات ضدنا وضد من يحارب الإسلاموفوبيا ويقولون لنا: أنتم متواطئون مع الإرهاب. إن أكثر القرارات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية منذ أسبوع هي ضد المسلمين. لقد دخلت الشرطة إلى المساجد. قد يقولون إن في المسجد ما يستدعي التدخل والتفتيش، لكن لماذا تكسير الأبواب إذا كنت لا تريد أن تخلق مناخاً ضد المسلمين. يدخلون المسجد والناس يرون كيف أن الحكومة تكسر أبواب المساجد. واضح أن أحد أهداف «الدولة الإسلامية» في الغرب هو إحداث انقسام بين المسلمين الفرنسيين والآخرين والسياسة الحكومية في فرنسا تذهب في هذا الاتجاه ويا للأسف.

لا تغيير في الموقف من سوريا

بالنسبة إلى سوريا، أولاً، لا أعتقد أنه حصل تغيير كبير وليس من المؤكد حصول هذا التغيير لأن هناك تناقضاً. أنا وأنتم قد لا نكون

متفقين على الوضع في سوريا. أنا أرى أن ثورة سوريا كانت ثورة حقيقية في البداية، ثورة ضد نظام اضطهاد و لم يكن هناك فرق كبير بين ما حصل في تونس أو مصر أو سوريا أو اليمن.. طبعاً أخذت الأحداث في سوريا اتجاهاً آخر لأسباب كثيرة أظن أن أحدها كان عنف النظام نفسه، والأسباب الأخرى كانت تدخّل القوى الخارجية العديدة بما فيها السعودية وقطر وإيران، والآن نحن في حرب عالمية على سوريا. كيف يمكن الخروج من هذه المواجهة؟ لا أستطيع أن أحدّد ماذا يجب أن نفعل من أجل ذلك، أي موقف قد تأخذه يمكن أن يكون فيه تدمير للبلد وللشعب كما حصل في العراق وسيكون من الصعب البناء من جديد في سوريا. هذا أمر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.

ثانياً، أعتقد أنه في البداية لا بدّ من وجود مفاوضات، ويجب أن يكون هناك اتفاق أميركي–روسي، واتفاق سعودي–إيراني–تركي، كل هذه الدول تتدخّل في سوريا. وفي اعتقادي أن لا مجال للحكومة السورية اليوم أن تنتصر في الحرب ولا إمكانية أيضاً لأي معارضة أ ن تنتصر.

في النهاية لا بد من الحوار والمصالحة، والمصالحة معناها أن لا تتدخل القوى الخارجية لأن لا أحد سينتصر في هذه الحرب في سوريا، يجب أن يكون هناك اتفاق داخلي في سوريا، بين من ومن؟ أ نا لا أستطيع أن أجيب فهذا يعود للسوريين أ نفسهم الذين عليهم أن يأخذوا الموقف المناسب وأ ن يعرفوا كيف يمكن أ ن يخرجوا من هذا المأزق.

في كل الأحوال، لا أعتقد بإمكانية أن يكون هناك حل سريع.

الحل سيأخذ وقتاً طويلاً من أجل الاتفاق السياسي وبعد ذلك لبناء نوع من الوحدة الوطنية من جديد.

على هذا الصعيد لا أعتقد اليوم أن فرن ùسا يمكنها أن تلعب دوراً أساسياً في هذا المجال. فرنسا ليست الفاعل الحقيقي وليس لها تأثيركبير على الأرض لا مع المعارضة ولا مع الحكومة. أظن أن أحداث ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر سيكون لها التاثير الأساسي على فرنسا وسيكون تأثيراً داخلياً سلبياً في العلاقة بين الفرنسيين والمسلمين والمجتمع. وهذا ما يجب أخذه بعين الاعتبار.

المداخلات

أعقبت محاضرة السيّد آلان غريش مداخلات من قِبل الحضور تناولت النقاط التالية:

• كيف يمكن أن يحصل تطوّر استراتيجي في مكافحة الإرهاب ما دامت تركيا التي تمثل الحدود الجغرافية لأوروبا تدعم الإرهاب عبر داعش وغيرها من التنظيمات المتطرّفة؟ لماذا تسمح فرنسا لبعض أئمة المساجد المتطرّفين الذين ينشرون الفكر الوهابي التكفيري بالتواجد في أوساط المسلمين الفرنسيين؟ وهل من محاربة الإرهاب أ ن تغلّب فرنسا مصالحها الاقتصادية على مبادئها العلمانية في علاقتها مع السعودية وبعض الدول الخليجية الداعمة والمموّلة للتنظيمات الإرهابية.

• ما هي انعكاسات أحداث ١٣ تشرين الثاني على السياسة الداخلية الفرنسية، علماً أن ردّة الفعل الحكومية على هذه الأحداث كانت استفزازية ضد المواطنين الفرنسيين المسلمين مما يترك انعكاسات سلبية على أبناء الجيل الثالث من المهاجرين الذين باتوا جزءاً من الشعب الفرنسي، مما يدفع بعضهم إلى الالتحاق بمنظمات إرهابية؟ كيف يرى المحاضر إلى مستقبل المنطقة العربية الإسلامية، وإلى تطوّر العلاقات بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، أي بين الشرق والغرب؟

• ما تفسير المحاضر لانحياز فرنسا إلى «إسرائيل» وموقفها المتطرّف ضدّ طهران أ ثناء المفاوضات بين إيران والغرب بشأن الملف النووي.

• كيف يرى المحاضر إلى تراجع دور فرنسا في المنطقة وما تقييمه للتدخل الغربي بقيادة الولايات المتحدة في المنطقة تحت شعار الحرب على الإرهاب؟ وكانت الإجابات كالآتي:

الاستاذ الان غريش

• بالنسبة لردود الفعل الغربية على الساحة في الشرق الاوسط، أنا مبدئياً ضد أي تدخل في المنطقة لاي سبب قد يكون هناك وضع استثنائي لكنني أعارض بشكل خاص ما يسمّى الحرب ضد الارهاب، التي بدأت قبل أن يكون هناك داعش، بدأت مع بوش لمساعدة «إسرائيل» ضد حزب الله وحماس. نعم يمكن أن نقول حرب ضد داعش. هذا يشكّل فرقاً كبيراً. وأنا مع شن حرب ضد داعش.

• بالنسبة لفرنسا، يجب أن ترجع إلى الأزمة الداخلية الفرنسية لأنها أزمة اقتصادية واجتماعية وثقافية كبيرة بدأت منذ عشرين سنة وتتعلّق بالاتجاهات الاقتصادية والعلاقات مع الاتحاد الأوروبي ومع الولايات المتحدة.

والشعب الفرنسي يشعر أن دور فرنسا تغيّر وليس صحيحاً أن فرنسا يمكن أن تعمل ما كانت تعمله في الخمسينيات. حتى في هذا الوضع مع دور أقل لفرنسا يمكن أن يكون صوت فرنسا أقوى والناس تسمع. اليوم لا يوجد من يستمع لصوت فرنسا لأن صوتها هو صوت أميركا وموقفها أحياناً أكثر تطرّفاً من الموقف الأميركي. لكن الأزمة موجودة وهذا معناه أن المشكلة عسكرية في مالي وأفريقيا الشمالية لكن لا إمكانية عسكرية لها. هذا واقع موجود وكل الحكومات الفرنسية تعلم ذلك.

• بالنسبة للتكفير والوهابية في فرنسا. هناك ضوابط في الموقف الفرنسي. نحن كدولة علمانية لا يمكن أن نتدخل في شؤون الدين.

هل يمكن لفرنسا أن تمنع كل التيارات السلفية في فرنسا، أعتقد أن وجهة نظر السلفية غير وجهة نظري لكن إذا كانت هذه السلفية سلمية فلا مانع. لا يمكن للحكومة الفرنسية أن تأخذ موقفاً. قد تأخذ الموقف كي تبني إسلاماً فرنسياً. هناك مئة إمام يأتون كل سنة من الجزائر لا يتكلمون الفرنسية ولا يعرفون شيئاً في الإسلام وهم أئمة. لكن في النهاية من الصعب على الحكومة الفرنسية أن تقول إن هذا الاتجاه الديني صحيح أو غير صحيح. أنا كمراقب للعالم الإسلامي أعتقد بوجود هيمنة للوهابية منذ خمسين سنة. في الأربعينيات كانت الوهابية ثانوية ثمّ بدأت تهيمن. لكن هذا بيد المسلمين وليس بيدي أنا. الحكومة الفرنسية يمكن أن ترفض وأن تكافح الاتجاهات التكفيرية العنيفة لأننا ديمقراطيون. عندنا يمين متطرّف يحصل على ٢٥٪ من الأصوات وهذه من تناقضات الديمقراطية. أنا أفضل تناقضات الديمقراطية على اللاديمقراطية.

• بالنسبة للتعاون بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب، أنا موافق مئة بالمئة على أن مستقبل أوروبا له علاقة مع مستقبل الشرق الأوسط. ممكن أن يحصل أي شيء في أميركا اللاتينية وحتى في أفريقيا أو في آسيا لكن تاثيره علينا محدود. أما العلاقات بين العالم العربي وأوروبا فلها أهمية كبيرة. قبل أن تبدأ هذه الأزمات تكلّمنا على ضرورة أن يفكّر الاتحاد الأوروبي بالتغيّرات التي تحصل في حوض البحر الأبيض المتوسط ليس فقط على الصعيد الديني بل أيضاً علي الصعيد الاجتماعي والاقتصادي ولكن لا وجود لرؤية واضحة في هذا الصدد

• ما هي أسباب الاتجاهات الموجودة في الحكومة الفرنسية وفي السياسة الفرنسية؟ أظن أن هناك أسباباً داخلية وهناك تباينات بين السياسيين وهناك الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وهي الأكبر منذ الثلاثينيات. يجب أن نفهم أن حزباً يمينياً متطرّفاً فاشياً كسب ٢٥٪ من الأصوات، هذا هو الوضع اليوم في فرنسا. في عهد ديغول كان لفرنسا صوت خاص بها. لكن الآن في أزمة هوية. ما هي الهوية الفرنسية؟ لا يوجد هوية لا تتغير، الإيطاليون مثلاً ويهود أوروبا الشرقية هم الآن فرنسيون. أعتقد أن المهم في هذا الوضع الصعب أن يكون هناك اندماج للمسلمين في فرنسا.

• بالنسبة لتركيا، وجهة نظر أوروبا من تركيا عموماً هي سلبية لأن تركيا مسلمة وليس المشكلة في أردوغان. هم قبل أردوغان كانوا ضد أي توسّع اوروبي نحو تركيا. اليوم هناك أزمة الهجرة. المشكلة الأساسية أنهم يتساءلون كيف سيأتي إلى أوروبا مليون أو مليونا مهاجر. لبنان أخذ مليوناً وتركيا أخذت مليونين والأردن أخذ ٦٠٠ ألف وهي دول فقيرة، ونحن مع كل أوروبا لا يمكن أن نأخذ مليون نسمة؟ لكن في هذا الوضع ومع الأزمة الفكرية هناك خوف حقيقي من أن يخلق هذا الوجود للمهاجرين مناخاً لتطوّر اليمين المتطرّف ويجب ان نأخذ هذا بعين الاعتبار.

محاضرة ريشار لابيفيير

شكراً على الاستضافة. يسرّني دائماً أن أكون بينكم في مركز دراسات المقاومة. تعلمون أنني ممن يقدّرون المقاومة وهذا ما قلته في قناة المنار عندما هاجمت شركة عربسات وأسميتها شركة سعود سات ، وأكدت أن هذه الأساليب ضد التعددية الإعلامية والفكرية لن تنجح في إسكات صوت المقاومة.

عولمة الإرهاب

أحاول في هذه المطالعة أن أطرح بعض النقاط وسنخضعها للنقاش سوياً. سأبدأ بالنقد الذاتي لأقول إنكم تعلمون أن الفرنسيين يعتقدون بأنهم شعب عظيم وأنهم مركز العالم. وتندرج عمليات باريس في سياق عالمي يظهر أن داعش لجأت إلى تغيير تكتيكاتها، وبعد التدخل الروسي ومشاركة حلفاء روسيا أخذت موازين القوى تتغير وبدأت داعش تمنى بمجموعة من الهزائم على الأرض.

إذا عدنا إلى الوراء وتذكرنا حرب أفغانستان وجدنا أن القاعدة نقلت قدرتها العالمية إلى مناطق أخرى في العالم. وقد وضعت إستراتيجية جديدة تقوم على نقل الصراع من العدو القريب إلى العدو البعيد ما يدلّ على أن قدرة داعش على الإيذاء باتت فاعلة على المسرح الدولي.

جرت عمليات باريس بعد تفجير طائرة سيناء وتفجير برج البراجنة وبعد مجموعة من العمليات الانتحارية في باكستان وبغداد. نحن إذاً في مرحلة جديدة، مرحلة عولمة إرهاب داعش.

بعد استهداف الطائرة الروسية واستهداف الأحياء الشيعية في لبنان ، نطرح السؤال لماذا استهدفت داعش فرنسا؟

انتقام من فرنسا

لأن فرنسا هي «الشيطان الأصغر»، بحسب الجماعات المتطرّفة التي تحاربها فرنسا في أفريقيا، وتتدخل بشكل رمزي في الحرب الدائرة في سوريا بحربها على داعش. كان أول هدف قصفته الطائرات الفرنسية خارج مدينة دير الزور هو أحد معسكرات داعش، وقد أدّت هذه العملية إلى اتخاذ داعش قراراً بالردّ انتقاماً من فرنسا. (هناك ألفا مسلح من أصول فرنسية مع داعش في سوريا). وبخلاف مسلسل العمليات السابقة التي تمت في السنوات الثلاث الأخيرة قام بتنفيذ هذه العمليات «ذئاب منفردون»، كما تسميهم الصحافة. وقد تمّت عمليات ١٣ تشرين الثاني بأمر من قيادة داعش في سوريا بعد الغارات الفرنسية على هذا التنظيم. هذه العمليات لم تتطلّب مهارات عالية إنما كانت عمليات عشوائية وبسيطة وتمت في عدة أماكن وفي الوقت نفسه بواسطة أشخاص لا يتمتعون بمهارات قتالية عالية ، حتى الأشخاص الذين قاموا بقتل عشرات المدنيين في مقهى ومطعم أطلقوا النار عشوائياً، وهذا العمل لا يتطلب مستوى عالياً من التدريب.

تطرقتُ إلى هذه التفاصيل لأقول إننا لسنا أمام عمل حربي بكل معنى الكلمة ، إنما نحن أمام عمل إجرامي عشوائي. إن ردّ الفعل المباشر والعاطفي دفع فرنسا لتبني كل مصطلحات الحرب التي أعلنها جورج بوش وإدارته ، وعندي أن السبب الأول هو أن الرئيس فرنسوا هولاند كان مهووساً بالانتخابات المناطقية فقد جاءت نتائج الدورة الأولى كارثية، والسبب الثاني هو الانتخابات الرئاسية عام ٢٠١٧ والأجندة الانتخابية التي تتحكم بقرارات هولاند.

قصف «أقفاص دجاج»

إن خطاب الحرب لا يعكس رؤية إستراتيجية واضحة إنما هو جزء من خطاب إعلامي سياسي. لقد أخبرني أصدقائي الطيارون أنهم ذاهبون لقصف «أقفاص دجاج» حتى قبل أن تقرر فرنسا إرسال طائرات إلى المتوسط. ولكن الأهداف الأبعد لخطاب الحرب تتضمن كل الأخطاء الإستراتيجية خلال التدخلات الخارجية الأميركية في هذه المنطقة تحت شعار حماية أفغانستان والعراق وليبيا، إلا أن الهدف من التدخل العسكري هو إحداث تغيير في النظام السياسي القائم.

مشاكل لوجستية ومالية

ترتبط النتائج المباشرة للعمليات العسكرية بعدّة مشاكل أوّلها مشاكل الميزانية العامة والمشاكل اللوجستية، فكلما ازدادت عمليات التدخل ازدادت مشاكل الميزانية العسكرية. والمطلوب من الرئيس الفرنسي ومن أنجيلا ميركيل أوروبياً الحد من عجز الميزانية العسكرية البالغ ٣٪ فقط.

هناك مشكلة لوجستية حيث لم يعد لدى الفرنسيين قذائف ذكية تستخدم في عمليات القصف. وهناك أيضاً مشكلة أكثر خطورة وهي مشكلة جيو–استراتيجية (سوف ننزع رداء بولس ونلبسه لبطرس). بعض المستشارين البارزين في قصر الأليزيه يودون نقل قدرات عسكرية من الساحل الإفريقي إلى سوريا والعراق ، بينما يرى خبراء آخرون أكثر جدية أن لداعش قدرات متنامية في ليبيا ليس في منطقة سرت وحدها إنما في جنوب ليبيا في منطقة فزان وقرب الحدود الجزائرية.

توسّع ظاهرة كره الإسلام

ولما كانت قدرات فرنسا على التدخل بسيطة فهي لا تستطيع إرسال أكثر من ٢٠ ألف جندي، فسيكون لهذا التدخل نتيجة اجتماعية ثقيلة وخطيرة وهي الاستقطاب الهوياتي بمعنى توسع ظاهرة كره الإسلام وذلك باستخدام مصطلحات تنعت الإسلام بالإرهاب. هذا السيناريو من أسوأ وأحمق السيناريوهات. والنتيجة يمكننا فهم إمكانية تحقق هذا السيناريو من خلال عدة عوامل، أولها الحلف الأطلسي.

ما وراء إسقاط الطائرة الروسية

أدّت عمليات ١٣ تشرين الثاني إلى تغيير معطيات فرنسا على المستوى الجيو استراتيجي والدبلوماسي. وبعد أحداث باريس أراد الرئيس هولاند أن يهرع إلى الرئيس الروسي للمطالبة بتحالف دولي ضد داعش، أي تبني اقتراح بوتين أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٨ أيلول الماضي.

لكن إسقاط الطائرة الروسية أسقط قناع الناتو. وحسب مصادر عسكرية وثيقةالاطلاع فقد أسقطت الطائرة الروسية في المجال الجوي السوري، وهذه العملية هي عملية رد اعتبار وقد نفذت تحت إشراف القيادة العسكرية التركية وقيادة العمليات الأميركية الوسطى. وبالعودة أربعة أيام إلى الوراء قبل إسقاط الطائرة قام الطيران الروسي بقصف جماعات تركمانية متطرفة شمال سوريا ، وخلال العملية تم قتل ١٥ ضابطاً وخبيراً عسكرياً من القوات الخاصة التركية كانوا مع المجموعة التركمانية.

من جهة ثانية أكدت عملية إسقاط الطائرة الروسية على تماسك حلف الناتو. وقد أعلن الرئيس أوباما وأمين عام حلف الناتو ينس ستولتنبرغ تضامنهما مع تركيا وحقها في الدفاع عن سيادتها الجوية، وحرصا على التأكيد أن تركيا ثاني جيش في حلف الناتو.

أوباما يضغط وهولاند يتراجع

في هذا السياق كان على هولاند لقاء أوباما قبل لقاء بوتين. خلال اللقاء قام أوباما بتأنيب هولاند وقال له: إنك لا تستطيع أن تمد اليد بهذا الشكل لبوتين. لذلك عندما وصل هولاند إلى موسكو لم يتحدث عن الحلف الموحد لمواجهة الإرهاب إنما تحدث عن التنسيق لمواجهة الإرهاب. أما بالنسبة للوضع في المنطقة وسوريا فقد قال هولاند إن مستقبل الرئيس السوري لم يعد أولوية، ووافق على أن يصبح سليمان فرنجية مرشحاً للرئاسة اللبنانية مع علمه باتصاله ببشار الأسد.

بعد كل هذا العرض، علينا استشراف ما يمكن أن يحصل في الفترة القادمة. خلال زيارة هولاند لبوتين قام وزير الخارجية الأميركي جون كيري بزيارة جميع الأعضاء في حلف الناتو وقال لهم إن هولاند يريد إدارة الأزمة السورية من خلال منظور متوسطي ، أما نحن في حلف الناتو فعلينا إدارة الأزمة السورية انطلاقاً من منظور عالمي أوسع، وأعلن كيري خلال اللقاء أن دولة مونتنيغرو ستصبح الدولة ال١٩ في حلف الناتو.

تصعيد سعودي

في الوقت نفسه أعلن أوباما تكثيف الغارات الجوية ضد داعش، وأعلن أيضاً أن الطائرات الأميركية ستقوم بقصف صهاريج النفط التي تنقلها لحساب داعش. كما أعلن إرسال عشرات من أفراد القوات الخاصة إلى سوريا لدعم المعارضة السورية المعتدلة. وفي السياق نفسه باتت السعودية تتخذ مواقف أكثر تشدداً تجاه إيران ودعت إلى عقد اجتماع للمعارضة السورية المسلحة على أراضيها. وكما يعلم العسكريون فإن التطورات الجدية والحاسمة تبدأ من الميدان على الرغم من تكاثر أعداد المرتزقة حيث ازداد عددهم حوالي ٧٠٪ في الفترة الأخيرة.

الأولية للتطوّرات الميدانية

الهدف المركزي للدولة السورية وحلفائها حزب الله والحرس الثوري الإيراني هو السيطرة على محور دمشق حمص حماه وصولاً إلى حلب. والأولوية هنا للتطورات الميدانية والعسكرية. لذا نحن أمام جبهتين ، الجبهة الأولى تقودها الولايات المتحدة مع تركيا ودول

الخليج ، والجبهة الثانية هي جبهة الدولة السورية مع إيران وحزب الله. أما فرنسا فتقف في الوسط بين الجبهتين. لذا يجب على فرنسا حل المشكلات الداخلية الفرنسية التي كشفتها عمليات ١٣ تشرين الثاني، أي أن تعالج جذرياً مشكلة الضواحي الفرنسية الشعبية ومشكلة السجون حيث يتم تجنيد المتطرفين في هذه السجون،ويجب أن تعالج أيضاً مشكلة المدرسة في فرنسا التي لا تعد جيلاً مقتنعاً بفكرة الجمهورية إنما تعد أجيالاً من الأميين. وهناك أيضاً مشكلة الإعلام الفرنسي الذي تحول إلى جهاز دعاية وتعبئة لأطروحات المحافظين الجدد المروجين لـ«إسرائيل» والعنصرية والمعادين لإيران.

المداخلات

عقب المحاضرة طُرحت على السيّد ريشار لابيفيير أسئلة متنوّعة حول علاقة فرنسا بالدول المتهمة برعاية الإرهاب في المنطقة، وحول ما تحققه الولايات المتحدة من أهداف نتيجة تنامي عولمة الإرهاب، كما طرحت أسئلة حول مفهوم الإرهاب وهل يخدم مقولة صراع الحضارات؟ والدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في التشجيع على تنامي ظاهرة الإرهاب. كما طرحت أسئلة حول دور «إسرائيل» والولايات المتحدة في العمل على قيام تحالف ضدّ إيران. وأخيراً طُرح سؤال عن العلاقة بين فرنسا وروسيا في ظلّ التصعيد الأميركي ضدّ بوتين.

وكانت الإجابات كالآتي:

ريشار لابيفيير

• منذ أن تخلّت فرنسا عن ثوابت السياسة الخارجية الميترانية والديغولية وهي في حالة من الضياع. لماذا؟ الإجابة بسيطة، فقد استسلمت فرنسا لسياسة المال والعقود وصفقات السلاح مع دول الخليج والسعودية. وبعد كل عملية تقع في فرنسا يطرح سؤال في وسائل الإعلام حول ما يُسمّى السياسة السنّية لفرنسا؟ هل يجب علينا إقفال المساجد التي يسيطر عليها الأصوليون المسلمون، ولكن هذه المساجد لن تغلق لأنها ممولة من سعوديين وكويتيين ولا نستطيع توتير هذه العلاقات لاعتبارات سياسية ودولية.هذا المنطق هو المنطق البدائي للرأسمالية والهدف الأول هو الدفاع عن حصة فرنسا من العولمة. ففرنسا لديها ٣ ملايين عاطل عن العمل.

• والملاحظة الثانية هي حاجة الولايات المتحدة إلى الحرب. في العام ١٩٩٨ ألّفتُ كتاباً عن دولارات الإرهاب وعنوانه الفرعي هو «الولايات المتحدة والأصوليون الإسلاميون». في السياق الحالي أعتقد أن الولايات المتحدة بحاجة لاستثمار الإرهاب لأسباب اقتصادية تتعلق بالسيطرة على المواد الأولية والنفط والتسويق ، إنما هناك اعتبار جيو استراتيجي مواز للمنطق الاقتصادي.

إن أهداف الولايات المتحدة هي تدمير أجهزة الدول والإكثار من عدد الدول المتداعية وتوسيع رقعة ما يسمى المناطق الرمادية أي المناطق غير المحكومة من الدول والواقعة تحت سيطرة أمراء أو مافيات.

• أنتقل إلى مسألة الإرهاب والوجه المخفي للعولمة الاقتصادية. لماذا قرر أوباما قتل أسامة بن لادن في أيار ٢٠١١؟ كانت الولايات المتحدة تخشى أن يقوم بن لادن وتنظيم القاعدة باستغلال الانتفاضات العربية عام ٢٠١١. وكان الحل لدى الولايات المتحدة في تلك الفترة هو إيصال الإخوان المسلمين إلى الحكم في الدول العربية. لم ينجح هذا الحل فبعد سنة من حكم الإخوان نزل الملايين إلى الشارع المصري ضد حكم الإخوان وهنا خطرت للأميركيين فكرة جديدة. اعتبر بعض الخبراء في واشنطن أن مرحلة ما بعد بن لادن تتطلب من أتباعه العودة إلى الجهاد المحلي، لذلك رأى هؤلاء الخبراء أن هناك جماعات «لطيفة» ستركز نشاطها ضد نظام بشار الأسد وضد نظام المالكي في العراق. ولما استولت داعش على الموصل في تموز ٢٠١٤ فرحت الولايات المتحدة وتركيا والسعودية بهذا التطور. لقد ذبح هؤلاء

الجهاديون «اللطفاء» الجدد صحافيين أميركيين أمام الكاميرات. وما لبث هؤلاء أن أعلنوا الخلافة وهذا يعني إسقاط الحكم السعودي وتوسيع نقطة سيطرتهم لتشمل السعودية.

في ٩ آب ٢٠١٤ بدأت أولى غارات التحالف الأميركي الخليجي التركي، وكما قال الرئيس بوتين في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة: «إذا أردنا تقديم حصيلة لسنة من الغارات الجوية نجد أن الحصيلة صفر». لقد قلت سابقاً لو لم تكن داعش موجودة لكان من الضروري اختراع داعش لأنها تخدم الأغراض المتباينة لجميع أعدائهما المفترضين.

• عن صراع الحضارات، أقول إن هذا المفهوم ليس له أساس جيو- سياسي لأن صراع الحضارات المزعوم وعمليات التطهير العرقي هي الوقود الذي يحرك العولمة الاقتصادية. إن أوروبا معنية بهذه المسألة لأسباب جغرافية ولوجود جاليات مسلمة داخل أوروبا. لقد فشلت أوروبا في إيجاد قدرات دفاعية وسياسية موحدة. أما الاتحاد الأوروبي فهو سوق اقتصادي ضخم إلا أنه عاجز على المستوى السياسي والعسكري. عندما يقوم أردوغان بابتزاز أوروبا عبر اللاجئين السوريين ويحصل على ٣ مليارات يورو مقابل عدم السماح للاجئين السوريين بدخول أوروبا، كما يطالب بعدة شروط لدخول تركيا الاتحاد الأوروبي، مع العلم أن تركيا تحتل قسماً من قبرص ولم تعترف بعمليات إبادة الأرمن، وكذلك لم تعترف «إسرائيل» والولايات المتحدة بعمليات الإبادة.

• في ما يتعلّق بظاهرة الإرهاب، قمت باستعادة كتاب ماركس عن بؤس الفاسقة في الحديث عن بؤس الإرهاب الحالي. وتحدثت عن بؤس الإرهاب وإرهاب البؤس. إرهاب البؤس هو نتاج للتفكك الاجتماعي ولكنه إرهاب الفقر على المستوى الفكري والثقافي والمفاهيمي. لم يقرأ الشبان المضللون والأميون الذين قاموا بعمليات ١٣ تشرين الثاني كتاب سيد قطب ولا يعرف هؤلاء معنى الوهابية بالشكل الصحيح. نحن إذاً أمام ظاهرة تغذت من فضائيات الإعلام والأنترنت، لذلك أعتقد أن المنهجية أساس وليست جوهراً، نحن أمام إيديولوجيات تنتشر ومجموعات تقوم بالعمل. نحن أمام شباب صغار السن يتعرفون على داعش من خلال ما يشاهدونه على الإنترنت أو في مساجد ومصلّيات غير رسمية. وفي سياق القحط الفكري والثقافي عادت القضية الفلسطينية لتحتل مركزية ما عبر شبكات التواصل الاجتماعي، ومع أن هناك قراراً يقضي بمقاطعة المنتجات الإسرائيلية في أوروبا بعد الاعتداءات الإسرائيلية نجد أن الدول الأوروبية تزيد من شرائها للبضائع الإسرائيلية.

• على مستوى تكنولوجيا المعلومات يركز الإسرائيليون على تكنولوجيا الاتصال للوصول بشكل أسهل إلى نظام المراقبة والتحكم فمثلاً هناك منظومة كاميرات في مكة المكرمة بحيث يستطيعون معرفة كل من يذهب إلى الحج ، وعندهم أيضاً نظام معلوماتي للتعرف على الأشخاص من خلال بصمة اليد. ويعود التعاون بين «إسرائيل» وبعض الدول العربية لأسباب اقتصادية وسياسية ومالية.

• من الواضح أن الأميركيين بحاجة إلى إطار سني مواز لتضخم إيران في المنطقة. والمطلوب أن تقوم السعودية بإعادة إنتاج محور

إقليمي سني في المنطقة ، ومن الممكن أن توافق الولايات المتحدة والدول الغربية على وجود تحالف سني لمواجهة إيران ما دامت السعودية هي عبارة عن مجلس إدارة يعمل لمصلحة الولايات المتحدة وما دامت ضرورية للولايات المتحدة. وفي اليوم الذي ستتعارض فيه مصالح السعودية مع مصالح الولايات المتحدة سوف تتفكك السعودية. ثم إن الهاجس الأساسي للولايات المتحدة هو احتواء صعود الصين وعودة روسيا للمسرح الدولي ، وهذا ما أكد عليه الرئيس باراك أوباما.

• بالنسبة لفرنسا، لقد قيل كلام ذو معنى في هذا الصدد وكان من قبل الدبلوماسية الفرنسية بعد عمليات ١٣ تشرين الثاني. وبالعودة إلى الوراء نتذكر خطاب رئيس وزراء فرنسا الأسبق دومينيك دو فيليبان أمام مجلس الأمن عام ٢٠٠٣ عندما عارض الحرب على العراق، لكن الأميركيين فرضوا أثماناً باهظة على فرنسا نتيجة الموقف الذي دافعت عنه ، مما دفع الحكومة الفرنسية لتغيير موقفها بعد بضعة أشهر من اندلاع الحرب على العراق ، وقدم الفرنسيون القرار ١٥٩٥ المتعلق بلبنان على طبق من فضة.

• ما أعرفه أن الولايات المتحدة وضعت في ألمانيا ٥٠ رأساً نووياً إضافياً بموافقة المستشارة أنجيلا ميركيل ، وهذا يندرج في إطار تعزيز الانتشار العسكري لحلف الناتو والهدف الأول هو محاولة الضغط على الرئيس بوتين، لكي يقوم بوتين رداً على ذلك بالانتقام من الأوروبيين أولاً ثم من الفرنسيين.

كيف يمكننا أن نرفض تسليم روسيا سفناً دفع ثمنها بحجة احترام حقوق الإنسان والمعزوفة المتكرّرة بينما نقوم ببيع أسلحة بمليارات

الدولارات؟ لذلك قام بوتين بتمويل حزب الجبهة الوطنية اليمني المتطرّف ليس لأنه قريب منه إيديولوجيا، إنما الهدف إضعاف غطرسة الحكومة الفرنسية الحالية وزيادة مشاكلها وما يترتب على ذلك من تزايد الإرهاب في باريس والضواحي.

• أخيراً سأتحدث عن وضع الخبراء المستقلين وأنا واحد منهم، إن أصوات الخبراء المستقلين في فرنسا البعيدين عن اللوبيات الأميركية والإسرائيلية تتعرض للرقابة. لا أريد هنا التحدث عن نفسي لقد فُصلت من عملي في إذاعة فرنسا الدولية لأني كنت أعتمد نفس الخطاب الذي اعتمدته هنا في المركز الاستشاري، وكما قلت سابقاً هناك تيار محافظ جديد سيطر على وزارة الخارجية الفرنسية وهذه الإيديولوجية تهيمن على وسائل الإعلام الفرنسية مع وجود المفوضين السياسيين الذين يكررون الكلام نفسه عندما يتعلق الأمر بقضايا الشرق الأوسط.